[147] وقد قال أبو سفيان للعباس يوم فتح مكة بعد أن أسلم ورأى عظم جيوش النبي: " وا يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ". فقال له العباس: يا أبا سفيان ! إنها النبوة. قال: فنعم إذا (1). لم يكن هذا الزعيم المغلوب على أمره ليرضى أن تخرج الزعامة من بيت ابن عمه إلى بيت قصي عنه بعد أن خرجت من بيته. وكانت العصبية القبلية في الجاهلية قبل الاسلام عماد الحياة في الجزيرة العربية. وأما العصر الاسلامي الاول، فمهما جاهد الرسول في إماتة العصبية القبلية ودفنها ! فإنها كانت تظهر بين حين وآخر متحدية جهاد الرسول في نشره الاخاء الانساني، وفي سيرة الرسول وأصحابه كثير من الشواهد الدالة على ذلك. وإن هذه العصبية لم تكن بين آل عبد مناف صاحب الزعامة القرشية بأقل منها في غيرها. روى ابن هشام عن العباس أنه ركب بغلة النبي ليلة فتح مكة، وخرج يبحث عن رسول يوفده إلى قريش فيخبرهم بقدوم النبي ليأتوا إليه فيستأمنوه، فرأى أبا سفيان فقال له: وا لئن ظفر بك ليضربن عنقك. ثم أردفه وأخذه ليستأمن له من النبي، وكلما مر على نار من نيران المسلمين قالوا: عم رسول ا صلى ا عليه وآله على بغلته حتى مر على عمر بن الخطاب، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة، قال: أبو سفيان ! عدوا، الحمد الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم فركض العباس بالبغلة وسبقه، قال

_____

(1) سيرة ابن هشام 4 / 23.